مختصر

بغية الإنسان

في

وظائف رمضان

للحافظ ابن رجب الحنبلي

اختصره وحققه وعلق عليه

أحمد فريد

عفا الله عنه

الدار السلفية للنشر والتوزيع-الأسكندرية
هاتف / ٠١٢٢٤٩٠٥٨٩

أسألكم الدعاء .. أخيكم / أيمن معوض محفوظ

www.Aymanweb.Com

مختصر
بغية الإنسان
في وظائف رمضان

مختصر

بغية الإنسان في وظائف رمضان

لابن رجب الحنبلي

اختصره وحققه وعلق عليه

أحمد فريد

عفا الله عنه

الدار السلفية للنشر والتوزيع

ت : ٠١٢٣٤٩٠٥٨٩

الاسكندرية

رقم الأيداع

١٣٥٣٨ / ٩٩

الترقيم الدولى I.S.B

977 - 5953 - 15 - 4

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نسأل الله تعالي حسن الخاتمة

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مقلب القلوب والأبصار مقدر الأمور كما يشاء ويختار، مكور النهار على الليل، ومكور الليل على النهار، أسبل ذيل الليل فأظلم للسكون والاستتار، وأنار منار النهار فأضاء للحركة والإنتشار، وجعلهما مواقيت الأعمال ومقادير الأعمار، وخلق الشمس والقمر يجريان بحسبان ومقدار، ويعتقبان فى دائرة الفلك الدائر على تعاقب الأدوار، وجعلهما معالم يعلم بهما أوقات الليالى والأيام والشهور والأعوام فى هذه الدار، ويهتدى بهما إلى ميقات الصلاة والزكاة والحج والصيام والإفطار، حجة قائمة قاطعة للأعذار، وحكمة بالغة من حكيم عليم ذى إقتدار، والصلاة

والسلام على محمد عبد الله ورسوله، البدر جبينه إذا سر استنار، والحنيفية دينه، الدين القيم المختار، صلى الله عليه وعلى آله أولى الأقدام والأقدار، وعلى أصحابه نجوم الأقطار، صلاة تبلغهم بها فى تلك الأقطار نهاية الأوطار، وسلم تسليماً .

ثم أما بعد :

فإنه ما من موسم من المواسم الفاضلة إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعته يتقرب بها إليه، ولله فيها لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات .

عن الحسن فى قوله الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي

جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان :٦٢] قال : من عجز بالليل كان له من أول النهار مستعتب ، ومن عجز بالنهار كان له من الليل مستعتب .

وشهر رمضان من أعظم مواسم الطاعة والمغفرة، وقد شرع الله عز وجل فيه من أسباب الخير والسعادة وإحسان العبادة مايجعل العاقل ينتظر قدوم هذا الشهر الكريم لعله يستطيع أن يخالف نفسه وهواه وأن يدخل فى شرف عبادة مولاه، فمما شرع فى هذا الشهر الكريم صيام نهاره، والصيام كسر للشهوات وقد قال النبى ﷺ : « الصيام جنة » [1] أى وقاية من النار، لأن النار حفت بالشهوات، ونبهنا الله عز وجل بترك الضروريات وهى الطعام والشراب على ترك المعاصى والمخالفات، فإذا استطاع المؤمن أن يترك

---

(١) سيأتى تخريجه إن شاء الله .

حاجاته الأصلية فكيف لايستطيع أن يترك المخالفات لرب البرية ويزيد فى همته على ترك المعاصى معرفة حرمة الشهر، وحرمة الصيام، وشرف الساعات والأيام، فالمؤمن يسابق فى هذا الشهر بالخيرات ، ويتدرب فى نهاره على أخلاق الصائمين من ترك الزور والعمل بالزور، ومن الكلام الفاحش ، ومن أن يرد على السفيه بمثل سفهه، وعلى الجاهل بمثل جهله، فهو يتدرب على أخلاق المحسنين الذين يدفعون بالحسنة السيئة فإن سابه أحد أو قاتله فجوابه العفو والصفح وقوله : « **إنى صائم إنى صائم**» وكان السلف إذا صاموا جلسوا فى المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولانغتاب أحداً .

فهذا حال المؤمن فى نهار رمضان، فهو صائم صابر، أما ليله فإنه يعجل بالإفطار إمتثالا للشرع، ويعرف نعمة الله عز وجل إذ النعم لاتعرف أقدارها

إلا بعد فقدها، فهو فى ليلة طاعم شاكر ثم ما تركه الشرع الشريف بالليل يقضي ليلة فى المعاصى ويحبط أعماله الصالحة بالنهار، والموفق للطاعة بالنهار أقرب إلى أسباب الرحمة بالليل، ومن أضاع نهاره فى معصية الله عز وجل والبعد عن أسباب رحمته ورضاه كان بالليل أبعد عن أسباب رحمته وجنته، كان الحسن إذا دخل السوق ورأى لغطهم ولغوهم يقول : ما أرى ليل هؤلاء إلا ليل سوء. فالمؤمن مشغول فى نهار رمضان بالصيام، وفى ليله بالقيام وتلاوة القرآن فقد قال رسول الله ﷺ : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » [1] وكان ﷺ يدارس جبريل القرآن كل ليلة فى رمضان، والشهر كذلك شهر العمرة والعمرة فى رمضان تعدل حجة أو حجة مع النبى ﷺ وشرع فى

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله .

هذا الشهر الكريم كذلك زكاة الفطر طهرة للصائم، فانظر رحمك الله كيف طرق الشهر أبواب الخير كلها، وشرع للمسلم كذلك أن يعتكف في نهاية الشهر يلتمس ليلة القدر، ويقطع جميع العلائق عن الخلائق، وكان ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأيقظ أهله وأحيا ليله، فما تركنا الشهر فى ساعة من ليل أو نهار ولم يشغلنا بعبادة من العبادات، ولذلك من الحكم الشريفة والفوائد اللطيفة مالا يعلمه إلا الله عز وجل، الذى خلق العباد ورزقهم، وذلك لأن العبد مهما كان مشغولا بالطاعات لايكون فى هذه الحال محلا للوساوس ، وإذا غفل ساعة عن ذكر الله جثم عليه الشيطان وأخذ يعده ويمنيه .

وحتى تتم على العباد النعم ويتيسر لهم الطاعات، فإن الله عز وجل يفتح فى هذا الشهر

الكريم أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران وتسلسل الشياطين، فلا تخلص لبني آدام كما تخلص إليهم فى غير هذا الشهر .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله واصفا دخول الشهر الكريم ما ملخصه :

هبت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب سعى سمسار المواعظ للمهجورين فى الصلح، وصلت البشارة للمنقطعين بالوصل ، وللمذنبين بالعفو وللمستوجبين النار بالعتق، لما سلسل الشيطان فى شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام إنعزل سلطان الهوى وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل فلم يبق للعاصى عذر، ياغيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، ياشموس التقوى والإيمان إطلعى ، ياصحائف أعمال الصائمين إرتفعى ، ياقلوب الصائمين إخشعى ، ياأقدام المتهجدين اسجدى

لربك واركعى، ياعيون المجتهدين لاتهجعى، ياذنوب التائبين لاترجعى ، ياأرض الهوى ابلعى ماءك ويا سماء النفوس أقلعى، ياخواطر العارفين ارتعى، ياهمم المحبين بغير الله لاتقنعى .

قد مدت فى هذه الأيام موائد الإنعام للصوام فما منكم إلا من دعى **« ياقومنا أجيبوا داعي الله »** فطوبى لمن أجاب فأصاب وويل لمن طرد عن الباب وما دعى .

وبعد :

فبين يدى القارىء الكريم مختصر نافع لكتاب الحافظ ابن رجب الحنبلي [**بغية الإنسان في وظائف شهر رمضان**] وهو من الأئمة العلماء، ومصنفاته رحمه الله قد نفع الله بها النفع الكثير، ولما كانت كتب هؤلاء الأفاضل فيها من التطويل ما لا يناسب تقاصر همم الطلاب فى هذه الأزمان اقتصرنا

على الصحيح من الكتاب وخرجنا مادة الكتاب بحسب الطاقة وأضفنا بعض التعليقات المفيدة، وأترك القارىء الكريم يتعرف بنفسه على هذا الكتاب وأرجو أن ينفعنى الله به. وكل من قرأه يلتمس الخير والسداد، والنصيحة للعباد، والله يوفقنا وسائر المسلمين لما يحبه ويرضاه ويمن علينا بأسباب طاعته وهداه، ولايدخل علينا شهر من شهور الرحمة والمغفرة ثم ينسلخ إلا وقد غفرت لنا الذنوب وزالت العيوب ، ووفقنا الله عز وجل للتوبة حتى نتوب ، والله الموفق للخيرات والهادى إلى أعلى الدرجات، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

مختصر
بغية الإنسان فى وظائف رمضان

المجلس الأول : فى فضل الصيام

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلي سبعمائة ضعف ». قال الله عز وجل : « إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي » . « للصائم فرحتان » : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه، وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »[1] .

---

(١) رواه البخارى (٤ / ١٠٣) فى الصوم باب فضل الصوم، ومسلم (٨ / ٣٢) في الصيام : باب فضل الصيام .

قال الحافظ : والجنة بضم الجيم الوقاية والستر، وقد تبين بهذه الروايات متعلق هذا الستر وأنه من النار، وبهذا جزم ابن عبد البر وأما صاحب النهاية فقال : معني كونه جنة أى يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات .

وقال القرطبى : جنة أى سترة، يعنى بحسب مشروعيته فينبغى للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه، وإليه الإشارة بقوله : فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث الخ » وقال ابن العربى : إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات فالحاصل : أنه إذا كف عن الشهوات فى الدنيا كان ذلك ساترا له من النار فى الآخرة، . باختصار من الفتح (٤ / ١٢٥) السلفية .

فالأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لاينحصر تضعيفه فى هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافا كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[الزمر: ١٠]

والصبر ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله وصبر على محارم الله وصبر على أقدار الله المؤلمة وتجتمع الثلاثة كلها فى الصوم .

واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب :

منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم [١] .

---

(١) روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ».

ومنها شرف الزمان كشهر رمضان [1] وعشر ذى الحجة .

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال : « **عمرة فى رمضان تعدل حجة أو حجة معى** » [2] .

---

(١) ذكر المصنف هنا حديث سلمان المشهور وفيه : « من تطوع فيه بخصله من الخير كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدي فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » والحديث رواه ابن خزيمة فى صحيحه (١٨٨٧) وقال : إن صح . وقال ابن أبى حاتم فى العلل سألت ابى عن حديث (وذكر الحديث) فقال : هذا حديث منكر. عن علل الحديث لابن ابى حاتم (١ / ٣٢) والحديث ضعفه ايضا الالباني فى الضعيفة رقم ٨٧١ .

(٢) رواه البخارى (٣ / ٦٠٣) فى الحج : باب عمرة فى رمضان، ومسلم (٩ / ٢) الحج : باب فضل العمرة فى رمضان، قال الحافظ قال ابن خزيمة : في هذا الحديث : إن الشيء يشبه الشيء ويجعل عدله إذا اشبهه فى بعض المعانى لاجميعها، لان العمرة لايقضى بها فرض الحج ولا النذر، ونقل الترمذى عن إسحق بن راهويه ان معنى الحديث نظير ما جاء أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن وقال ابن العربى : حديث العمرة هذا صحيح وهو فضل من الله ونعمه، فقد أدركت العمرة منزلة الحج بإنضمام رمضان إليها . – باختصار من فتح الباري (٣ / ٧٠٧) .

وقد يضاعف الثواب بأسباب آخر: منها شرف العامل عند الله وقربه منه وكثرة تقواه .

والصيام إختصَّهُ الله تعالى لنفسه من بين أعمال العباد وأضافه إليه. قال سفيان بن عيينة رحمه الله : هذا من أجود الأحاديث وأحكمها، إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لايبقى إلا الصوم، فيتحمل الله عز وجل مابقى عليه من المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة .

وفى إضافة الصيام إلى الله عز وجل وجهان [1] :

أحدهما : أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ

(١) ذكر الحافظ فى الفتح بالإضافة إلى هذين الوجهين أن الصيام أحب العبادات إلى الله والمقدم عنده ويؤيده حديث أبى أمامه فى النسائى وغيره « عليك بالصوم فإنه لا مثل له » ويعكر عليه الحديث الصحيح « واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة »وقيل كذلك : إن هذه الإضافة إضافة تشريف وتعظيم. وقيل إن الصيام لم يعبد به غير الله بخلاف الصلاة والصدقة والطواف .

النفس وشهواتها الأصلية التى جلبت على الميل إليها لله عز وجل ، ولايوجد ذلك فى عبادة أخرى غير الصيام، لأن الإحرام إنما يترك فيه الجماع ودواعيه من الطيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب، وكذلك الإعتكاف مع أنه تابع للصيام، وأما الصلاة وإن ترك المصلى فيها جميع الشهوات إلا أن مدتها لاتطول ، فلا يجد المصلى فقد الطعام والشراب في صلاته .

قال بعض السلف : طوبي لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره .

لما علم المؤمن الصائم أن رضى مولاه فى ترك شهوته، قدم رضى مولاه على هواه، فصارت لذته فى ترك شهوته لله لإيمانه باطلاعه وثوابه وعقابه .

وإذا كان هذا فيما حرم لعارض الصوم من الطعام

والشراب ومباشرة النساء، فينبغى أن يتأكد ذلك فيما حرم على الإطلاق كالزنا وشرب الخمر وأخذ الأموال والأعراض بغير حق ، وسفك الدماء المحرمة، فإن هذا يسخطه الله على كل حال وفى كل زمان ومكان.

الوجه الثاني : أن الصيام سر بين العبد وربه لايطلع عليه غيره . لأنه مركب من نية باطنة لايطلع عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التى يستخفى بتناولها فى العادة، ولذلك قيل : لاتكتبه الحفظة. وقيل : ليس فيه رياء كذا قاله الإمام أحمد . والله تعالى يحب من عباده أن يعاملوه سرا بينهم وبينه، وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرا بينهم وبينه بحيث لايطلع على معاملتهم إياه سواه .

وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد :

منها كسر النفس ، فإن الشبع والرى

ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة .

ومنها تخلى القلب للفكر والذكر ، فإن تناول هذه الشهوات قد يقسى القلب ويعميه وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته ، ويخليه للذكر والفكر .

ومنها : أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه، بإقداره له علي ما منعه كثيرا من الفقراء ، من فصول الطعام والشراب والنكاح فإنه بإمتناعه من ذلك فى وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك .

ومنها : أن الصيام يضيق مجارى الدم التي هى مجارى الشيطان من ابن آدم فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم[1]، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر سورة الشهوة والغضب . ولهذا جعل النبى ﷺ الصوم وجاء، لقطعه عن شهوة النكاح .

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة فى غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله فى كل حال من الكذب والظلم والعدوان على الناس فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النبى ﷺ : **« من لم يدع**

---

(١) والحديث رواه البخارى ومسلم عن أنس بلفظ : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » أما زيادة فضيقوا مجاريه بالجوع فقد قال الالبانى : لا أصل لها .

قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »[1] .

قال ابن بطال :

ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه وهو مثل قوله : « من باع الخمر فليشقص الخنازير »[2] .

---

(١) رواه البخارى (٤ / ١١٦) فى الصوم : باب : من لم يدع قول الزور والعمل به . ورواه أبو داود (٦ / ٤٤٨) فى الصوم . باب : الغيبة للصائم، والترمذي (٣ / ٢٢٦) الصوم باب : ما جاء فى التشديد فى الغيبة للصائم .

(٢) رواه أبو داود (٣٤٧٢) البيوع واحمد (٤ / ٢٥٣) والدارمي (٢ / ١١٤) الأطعمة والحديث سكت عنه المنذري . قال الخطابى : معناه فليستحل أكلها والتشقيص يكون من وجهين أحدهما : أن يذبحها بمشقص وهو نصل عريض والوجه الآخر : أن يجعلها أشقاصا وأعضاء بعد ذبحها كما يفصل أجزاء الشاة إذا أرادوا إصلاحها للأكل . ومعنى الكلام إنما هو توكيد للتحريم والتغليظ فيه يقول من استحل بيع الخمر فليستحل أكل الخنزير ، فإنهما فى الحرمة والإثم سواء . عون المعبود (٣ / ٣٨٠) .

أى : يذبحها ولم يأمره بذبحها ولكنه على التحذير والتعظيم لإثم بائع الخمر .

وقال بعض السلف : أهون الصيام ترك الشراب والطعام .

وقال جابر : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم، ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء .

وقال النبى ﷺ :**«رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش،ورب قائم حظه من قيامه السهر »** (١) .

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦٩٠) الصيام، والدارمي بلفظ : « كم من صائم » (٢ / ٣٠١) والحاكم (١ / ٤٣١) وقال : صحيح علي شرط البخارى وأحمد (٢ / ٣٧٣) والبغوى فى شرح السنة (٦ / ٢٧٤) الصيام، وقال الألبانى : حسن صحيح .

قوله ﷺ :« وللصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه » .

أما فرحة الصائم عند فطره ، فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا امتنعت ذلك فى وقت من الأوقات ثم أبيح لها فى وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه خصوصا عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعا فإن كان ذلك محبوبا لله كان محبوبا شرعا والصائم عند فطره كذلك .

فكما أن الله تعالى حرم على الصائم فى نهار رمضان تناول هذه الشهوات فقد أذن له فيها فى ليل الصيام، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها فى أول

وآخره فأحب عباده إليه أعجلهم فطرا [1]، والله وملائكته يصلون على المتسحرين [2]، فالصائم ترك شهوته لله فى النهار تقربا إلى الله وطاعة له، وبادر إليها بالليل تقربا إلى الله وطاعة له، فما تركها إلا بأمر ربه ولا عاد إليها إلا بأمر ربه،، فهو مطيع له فى الحالتين ، ولهذا نهى عن الوصال فى الصيام فإذا بادر

---

(١) الحديث عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قال سبحانه وتعالى أحب عبادى إلى أعجلهم فطرا » رواه الترمذي فى الصوم وفيه قرة بن عبد الرحمن ضعفه غير واحد ويشهد له الحديث المتفق عليه : « لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » وعن عمرو بن ميمون الأودي قال : كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارا وأبطأهم سحورا » قال الحافظ واسناده صحيح .

(٢) حديث « إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين » هذا رواه أبو العباس الأصم فى جزء من حديثه (١٨٨ / ٢ مجموع ٢٤) وابن حبان (٨٨٠) والروياني فى مسنده (٢٤٩ / ١) والطبرانى فى الأوسط وقال ابن أبى حاتم فى العلل (١ / ١٤٣-٢٢٤) : سألت أبى عن هذا الحديث فقال : هذا حديث منكر قال الالبانى : لكن للحديث شاهد فالحديث بمجموع ذلك حسن = السلسلة الصحيحة رقم ١٦٥٤ .

الصائم إلى الفطر تقربا إلى مولاه، وأكل وشرب وحمد الله فإنه ترجى له المغفرة أو بلوغ الرضوان بذلك فالصائم فى ليله ونهاره فى عبادة ويستجاب دعاؤه فى صيامه وعند فطره فهو فى نهاره صائم صابر وفى ليله طاعم شاكر .

وأما فرحة عند لقاء ربه فبما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرا، فيجده أحوج ما كان إليه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل : ٢٠] .

الصائمون على طبقتين :

إحداهما : من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالي ، يرجو عنده عوض ذلك فى الجنة فهو قد تاجر مع الله وعامله والله تعالى لايضيع أجر من أحسن عملا ولايخيب معه من عامله بل يربح عليه أعظم الربح .

فهذا الصائم يعطى فى الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء ، قال الله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة :٢٤] .

قال مجاهد وغيره : نزلت فى الصائمين .

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال : « **إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون، لايدخل منه غيرهم» «فإذا دخلوا أغلق»**

وفى رواية **من دخل منه شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا** »[1] .

الثانية : من يصوم في الدنيا عما سوى الله فيحفظ الرأس وما حوي ويحفظ البطن وما وعى ويذكر

(١) رواه البخارى فى الصوم (٤ / ١١١) ومسلم (٨ / ٣٢) باب فضل الصيام. قال الزين ابن المنير : إنما قال فى الجنة ولم يقل للجنة ليشعر بأن فى الباب المذكور من النعيم والراحة مما فى الجنة فيكون أبلغ فى التشويق إليه .

الموت والبلى ، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحة برؤيته .

أهل الخصوص من الصوام صومهم

صون اللسان عن البهتان والكذب

والعارفون وأهـــل الأنس صومهم

صون القلوب عن الأغيار والحجب

ومن صام عن شهواته فى الدنيا أدركها غدا فى الجنة ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآت ﴾ [العنكبوت :٥]

وقوله : « وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ».

خلوف الفم : ما يتصاعد منه من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام وهى رائحة مستكرهة فى مشام الناس فى الدنيا لكنها طيبة عند الله حيث كانت ناشئة عن طاعته وابتغاء مرضاته كما أن الشهيد يجيء يوم القيامة وجرحه يثعب دما، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك [1].

طيب ريح خلوف الصائم عند الله عز وجل

: أن الصيام لما كان سرا بين العبد وبين ربه فى الدنيا، أظهره الله فى الآخرة علانية للخلق ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين

---

(١) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمة يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك » متفق عليه . والكلم المراد به الجرح الذى يموت منه .

للنفوس فى الدنيا، فإن تلك الآثار غير مكروهة عند الله، بل هى محبوبة له، وطيبة عنده، لكونها نشأت عن طاعته، واتباع مرضاته، فإخباره بذلك للعاملين فى الدنيا فيه تطييب لقلوبهم لئلا يكره منهم ما وجد فى الدنيا .

ولهذا المعنى كان دم الشهيد ريحه يوم القيامة كريح المسك وغبار المجاهدين فى سبيل الله ذريرة أهل الجنة .

ذريرة : نوع من الطيب مجموع من أخلاط .

كل شيء ناقص فى عرف الناس فى الدنيا حتى إذا انتسب إلى طاعته ورضاه فهو الكامل فى الحقيقة .

خلوف أفواه الصائمين له أطيب من ريح المسك، عرى المحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل، نوح

المذنبين على أنفسهم من خشيته ، أفضل من التسبيح، إنكسار المخبتين لعظمته هو الجبر، ذل الخائفين من سطوته هو العز، تهتك المحبين فى محبته أحسن من الستر، بذل النفوس للقتل فى سبيله هو الحياة ، جوع الصائمين لأجله هو الشبع ، عطشهم فى سبيل مرضاته هو الزي، نصب المجتهدين فى خدمته هو الراحة .

المجلس الثاني: فضل الجود في رمضان وتلاوة القرآن

في الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: **كان النبى ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة فى رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة**[1].

وأخرجه الإمام أحمد بزيادة فى آخره وهى : لايسأل عن شىء إلا أعطاه .

---

(١) البخارى (٤/ ١١٦) كتاب الصوم: باب أجود ما كان النبى ﷺ فى رمضان ومسلم (١٥/ ٦٨/ ٦٩) الفضائل جوده ﷺ . قال الزين بن المنير: وجه التشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير وأجودية الريح المرسلة أن المراد بالريح ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذى يكون سببا لإصابة الأرض الميتة أي يعم خيره وبره من هو بصفة الفقر والحاجة ومن هو بصفة الغنى والكفاية أكثر مما يعم الغيث الناشئة من الريح المرسلة ﷺ .

والجود : هو سعة العطاء وكثرته والله تعالى يوصف بالجود.

وفى الصحيحين عن أنس قال :**«كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس»** (١).

وفى صحيح مسلم عنه قال :**«ما سئل رسول الله ﷺ علي الإسلام شيئا إلا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلي قومه فقال: ياقوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لايخشى الفاقة »** (٢).

قال أنس وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يمسى حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها.

---

(١) البخارى (٦ / ٩٥) : باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق وليس فيه (أجود الناس) ومسلم (١٥ / ٦٧) الفضائل : باب شجاعته ﷺ .

(٢) مسلم (١٥ / ٧٢) الفضائل : باب سخاؤه ﷺ .

وكان جوده ﷺ كله لله ، وفى ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال إما لفقير محتاج أو ينفقه فى سبيل الله ، أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش فى نفسه عيش الفقراء ، فكان جوده ﷺ يتضاعف فى شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضا، فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة، وكان ذلك قبل البعثة .

وفى تضاعف جوده ﷺ فى شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة:

منها شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه .

ومنها إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم كما أن من

جهز غازيا فقد غزا، ومن خلفه فى أهله فقد غزا [1].

وفى حديث زيد بن خالد عن النبى ﷺ قال: « **من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء** » [2].

ومنها : أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار لاسيما فى ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، فمن جاد علي عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل. والجزاء من جنس العمل .

ومنها : أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة

---

(١) مسلم (١٥ / ٧٢) الفضائل : باب سخاؤه ﷺ .

(٢) حديث « من جهز غازيا فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » رواه البخارى (٦ / ٥٨ / ٥٩) الجهاد ومسلم (١٣ / ٤٠) الإمارة وأبو داود (٢٤٩٢) الجهاد والترمذي (٧ / ١٢٧) الجهاد والنسائي (٦ / ٤٦) الجهاد .

رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « **من أصبح منكم اليوم صائما ؟** » قال أبو بكر : أنا . قال : « **من تبع منكم اليوم جنازة ؟** » قال أبو بكر أنا . قال : « **من تصدق بصدقة** » ؟ قال أبو بكر أنا . قال : « **فمن منكم عاد مريضا** » ؟ قال أبو بكر أنا قال : « **ما اجتمعن في امرىء إلا دخل الجنة** » [1] .

ومنها : أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ فى تكفير الخطايا وإتقاء جهنم والمباعدة عنها وخصوصا إن ضم إلى ذلك قيام الليل .

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **الصيام جنة** » [2] .

---

(١) رواه الترمذى (٤ / ٢٠) الصوم : باب ما جاء فى فضل من فطر صائما وابن ماجة (١٧٤٦) الصيام وأحمد فى المسند (٤ / ١١٤) وقال الترمذى : حسن صحيح وصححه الالبانى .

(٢) رواه مسلم (٧ / ١١٧ ، ١١٨) الزكاة : باب من جمع الصدقة وأعمال البر .

وفى رواية « **جنة أحدكم من النار كجنته من القتال** » . وفى الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** »[1] .

وكان أبو الدرداء يقول : صلوا فى ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير .

ومنها أن الصيام لابد أن يقع فيه خلل أو نقص، فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل ولهذا وجب فى آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم

ومنها أن الصائم يدع طعامه وشرابه لله، فإذا أعان الصائمين على التقوي على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوته لله وآثر فيها أو واسي فيها ولهذا يشرع له تفطير الصوام معه إذا أفطر ، لأن

---

(١) تقدم تخريجه .

الطعام يكون محبوبا له حينئذ ، فيواسي منه حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبه .

وله فوائد آخري : قال الشافعى رضى الله عنه : أحب للرجل الزيادة بالجود فى شهر رمضان، إقتداءً برسول الله ﷺ ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم.

وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعا ويجلس يروحهم وهم يأكلون .

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه فى السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم .

---

(١) رواه البخارى (١٠ / ٤٦٣) الأدب : باب طيب الكلام ومسلم (٧ / ١٠١) الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر. وقال النووي : وفيه الحث على الصدقة وأنه لايمتنع منها لقلتها وأن قليلها سبب للنجاة من النار .

سلام الله على تلك الأرواح ورحمة الله على تلك الأشباح، لم يبق منهم إلا أخبار وآثار .

وفى حديث ابن عباس أن المدارسة بينه وبين جبريل عليهما السلام كانت ليلا فدل على استحباب الإكثار من التلاوة فى رمضان ليلا فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا ﴾ [المزمل :٦] . قال ابن منصور : سئل إسحاق بن راهويه كم يقرأ فى شهر رمضان ؟ فلم يرخص فى دون عشر آيات ، فقيل له : إنهم لايرضون ، فقال : لارضوا فلا تؤمنهم إذا لم يرضوا بعشر آيات من البقرة يعنى فى كل ركعة، وكذلك كره مالك أن يقرأ دون عشر آيات .

وكلام الإمام أحمد يدل على أنه يراعى فى القراءة حال المأمومين، فلا يشق عليهم .

فى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : « **من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين** »[1] .

أى : أنه كتب له قناطر من الأجر. وكان بعض السلف يختم فى قيام رمضان فى كل ثلاث ليال،

---

(١) رواه أبو داود (١٣٨٥) الصلاة : باب تحزيب القرآن وابن حبان (٦٦٢) موارد، وابن السني (٦٩٧) وقال الألبانى فى الصحيحة رقم ٦٤٢ : والإسناد جيد وله شاهد عن ابن عمر. قال ابن الاثير : المقنطر الذى اعطى قنطارا من الأجر وقد جاء فى بعض الحديث « أن القنطار الف ومائة أوقية والأوقية خير مما بين السماء والأرض » جامع الأصول (٩ / ٤٣٤) وقال شمس الحق أبادي : من المالكين مالا كثيرا والمراد كثرة الأجر. وقيل أي ممن أعطى من الأجر أى أجراً عظيما – عون المعبود (٤ / ٢٧٥) .

وبعضهم فى كل سبع منهم قتادة، وبعضهم فى كل عشر.

قال ابن عبد الحكم:

كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف .

وقال عبد الرزاق:

كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن .

وكانت عائشة رضى الله عنها تقرأ فى المصحف أول النهار فى شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت .

عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال :

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام رب منعته الطعام والشراب بالنهار، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان » (١) .

فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها، سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها، أو لايختص به كشهوة فضول الكلام المحرم والسماع المحرم والنظر المحرم والكسب المحرم، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة، ويقول يارب منعته شهواته فشفعنى فيه

(١) رواه الحاكم (١ / ٥٥٤) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى قال الالبانى حفظه الله: وقد وهما فإن شيخ ابن وهب وكذا ابن لهيعة فيه حيى بن عبد الله ولم يخرج له مسلم شيئا ثم إنه تكلم فيه بعضهم وبما لاينزل حديثه عن رتبة الحسن إن شاء الله تعالى ، وجملة القول أن الحديث حسن الإسناد، وعزاه كذلك لأحمد والطبرانى فى الكبير وانظر تمام المنة فى التعليق على فقه السنة ص ٣٩٤ ط دار الراية .

فهذا لمن يحفظ صيامه ويمنعه من شهواته، فأما من ضيع صيامه ولم يمنعه عما حرمة الله عليه فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له: ضيعك الله كما ضيعتني ، كما ورد مثل ذلك فى الصلاة، وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل،فإن من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له

قال ابن مسعود :

ينبغى لقارىء القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون وبنهاره إذا الناس يفطرون وببكائه إذا الناس يضحكون وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون .

قال محمد بن كعب :

كنا نعرف قارىء القرآن بصفرة لونه . يشير

إلى سهره وطول تهجده .

أنشد ذو النون المصري:

منع القرآن بوعـــده ووعيده مقل العيـون بليلها لاتهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضع

فـأمـا من كـان مـعـه القـرآن فنام بالليل ، ولم يعـمل به بالنهـار، فـإنه ينتـصب القـرآن خـصـمـا له يطالبه بحقوقه التى ضيعها .

يامن ضيع عمره فى غير الطاعة ، يامن فرط فى شهره بل فى دهره وأضاعه، يامن بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة، يامن جعل خصمه القرآن وشـهـر رمـضـان كـيف ترجـو ممن جـعلتـه خـصـمك الشفاعة .

المجلس الثالث: في ذكر العشر الأوسط من شهر رمضان وذكر نصف الشهر الأخير

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاما حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي التي يخرج في صبيحتها من اعتكافه قال: « **من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر فقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها، فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر** » فمطرت السماء في تلك الليلة، وكان المسجد على عريش فوكف المسجد. فبصرت عيناي رسول الله ﷺ في جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى

وعشرين [1] . وفى رواية فى الصحيحين فى هذا الحديث أنه اعتكف العشر الأول، ثم اعتكف العشر الأوسط ثم قال : « **إنى أتيت فقيل لى : إنها فى العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف** » فاعتكف الناس معه .

هذا يدل على أن ذلك كان من قبل أن يتبين له أنها فى العشر الأواخر. حتى قبضه الله عز وجل كما رواه عنه عائشة وأبو هريرة وغيرهم .

وكل زمان فاضل من ليل أو نهار عموما آخره أفضل من أوله كيوم عرفة، ويوم الجمعة وكذا الليل والنهار عموما آخره أفضل من أوله .

---

(١) رواه البخارى (٤ / ٢٧١) الاعتكاف : باب الاعتكاف فى العشر الأواخر، والاعتكاف فى المساجد كلها ومسلم (٨ / ٦٠) فضل ليلة القدر والحث على طلبها .

والمشهور عن أهل السير والمغازى ، أن ليلة بدر كانت ليلة سبع عشرة . وكانت ليلة جمعة . قال ابن المسيب : قال عمر: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوتين فى رمضان : يوم بدر ويوم الفتح وأفطرنا فيهما وكان سبب خروجه حاجة أصحابه خصوصا المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون .

وفى « سنن أبى داود » من حديث عبد الله بن عمرو قال : « خرج رسول الله ﷺ يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة، كما خرج طالوت فدعا لهم رسول الله ﷺ حين خرجوا فقال : **« اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وانهم عراة**

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٣٠) الجهاد: باب نفل السرية تخرج من العسكر والحاكم (٢ / ١٤٥) كتاب قسم الفيء وقال : هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الالبانى : إنما هو حسن فقط وحسنه الحافظ فى الفتح .

فاكسهم، وإنهم جياع فأشبعهم »[1] ففتح الله يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو بجملين، واكتسوا وشبعوا .

وقال حكيم بن حزام:

سمعنا يوم بدر صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة علي طست فرمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهزمنا ولما قدم الخبر على أهل مكة قالوا لمن أتاهم بالخبر: كيف حال الناس قال : لاشيء والله إن كان إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا على خيل بلق بين السماء والأرض، ما يقوم لها شيء وقتل الله صناديد كفار قريش يومئذ منهم عتبة بن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة وأبو جهل وغيرهم وأسروا منهم، سبعين ، وكان عدو الله إبليس قد جاء إلى المشركين في صورة سراقة بن مالك وكانت يده في يد الحارث بن هشام ، وجعل

يشجعهم ويعدهم ويمنيهم، فلما رأى الملائكة هرب وألقى نفسه في البحر وقد أخبر الله عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[الأنفال:٤٨].

قال بعض التابعين : لما انزلت هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران :١٣٥].

بكى إبليس ، يشير إلى شدة حزنه بنزولها لما فيها من الفرح لأهل الذنوب فهو لايزال في هم وغم وحزن منذ بعث النبي ﷺ لما رأى منه ومن أمته مايهمه ويغيظه. عن الحسن قال : قال إبليس : سولت لأمة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار،

فسولت لهم ذنوبا لايستغفرون منها، يعنى الأهواء ولايزال إبليس يرى فى مواسم المغفرة والعتق من النار ما يسوؤه فيوم عرفة لايرى أصغر ولا أحقر ولا أدحر منه لما يرى من تنزيل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما رؤى يوم بدر .

وفى شهر رمضان يلطف الله بأمة محمد ﷺ، فتغل فيه الشياطين ومردة الجن حتى لايقدروا على ما كانوا يقدرون عليه فى غيرة من تسويل الذنوب، ولهذا تقل المعاصى فى شهر رمضان، ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : **« إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين »** [1] .

---

(١) البخارى (٤ / ١٣٥) الصوم : باب هل يقال رمضان او شهر رمضان . ومسلم (٧ / ١٢٦٢) اول كتاب الصوم .

وله أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وأغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين** »[1] وفى ليلة القدر تنتشر الملائكة فى الأرض، فيبطل سلطان الشياطين، كما قال تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [القدر : ٤ ٥] .

وفى المسند عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أن قال : « **إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من**

---

(١) رواه البخاري(٤ / ١٣٥) الصوم: باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان .

قال : عياض : يحتمل أن التصفيد على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته، لمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم، فيصيرون كالمصفدين. وقال البغوي : صفدت: أى شدت بالأغلال .

عدد الحصى » [1] . وفى المسند من حديث عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال فى ليلة القدر: **« لايحل لكوكب أن يرمي به حتي يصبح وإن أمارتها أن الشمس تخرج صبيحتها مستوية، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، لايحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ »** [2] .

وقال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥]. قال سلام أن يحدث فيها داء أو يستطيع شيطان العمل فيها.

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٥١٩) والبزار والطبرانى فى الأوسط، وانظر مجمع الزوائد (٣ / ١٧٦) كتاب الصوم وسكت عنه الحافظ فى الفتح (٤ / ٣٠٦) .

(٢) الحديث أوله: « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة وكأن فيها قمرا ساطعا ساكنة شاحبة، لابرد فيها ولا حر » رواه أحمد (٥ / ٢٣٤) وقال الهيثمى : ورجاله ثقات . – مجمع الزوائد (٣ / ١٧٥) .

أبشروا يامعشر المسلمين فهذه أبواب الجنة الثمانية لأجلكم قد فتحت، ونسماتها على قلوب المؤمنين قد نفحت، وأبواب الجحيم كلها لأجلكم مغلقة وأقدام إبليس وذريته موثقة، ففى هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثأر ، وتتخلص العصاة من أسره، فما يبق لهم عنده آثار، كانوا فراخه قد غذاهم بالشهوات فى أوكاره ، فهجروا اليوم تلك الأوكار، ونقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار خرجوا من سجنه إلى حصن التقوى والإيمان فأمنوا من عذاب النار، وقسموا ظهره بكلمة التوحيد فهو يشكو ألم الانكسار فى كل موسم من مواسم الفضل يحزن، وفى هذا الشهر يدعو بالويل لما يرى من تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار غلب حزب الرحمن وهرب حزب الشيطان فما بقى له سلطان إلا على الكفار، عزل سلطان الهوى وصارت الدولة

لسلطان التقوى ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر :٢] .

عباد الله شهر رمضان قد انتصف ، فمن منكم حاسب نفسه فيه لله وانتصف ، من منكم قام فى هذا الشهر بحقه الذى عرف من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبنى له غرف من فوقها غرف ألا إن شهركم قد أخذ فى النقص فزيدوا أنتم فى العمل فكأنكم به وقد انصرف، وكل شهر فعسى أن يكون منه خلف وأما شهر رمضان فمن أين لكم منه خلف .

تنصف الشهر والهفاه وانهدما
واختص بالفوز بالجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرا
مثلى فيا ويحه ياعظم ما حرما
من فاته البذر فى وقت البدار
فما تراه يحصد إلا الهم والندما

المجلس الرابع: فى ذكر العشر الأواخر من رمضان

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: **«كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله»** [1] هذا لفظ البخارى.

وفى رواية لمسلم عنها قالت: **«كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيره»** [2].

كان النبى ﷺ يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها فى بقية الشهر.

فمنها إحياء الليل فيحتمل أن المراد إحياء الليل كله.

---

(١) البخارى (٤/ ٢٦٩) الصوم: باب العمل فى العشر الأواخر من رمضان ومسلم (٨/ ٧٠) الاعتكاف: الاجتهاد فى العشر الأواخر من رمضان.

(٢) الترمذى (٤/ ١١) ومسلم (٨/ ٧٠) الاعتكاف: باب الاجتهاد فى العشر الأواخر من رمضان.

ومنها أن النبى ﷺ كان يوقظ أهله للصلاة فى ليالى العشر دون غيرها من الليالى :

قال سفيان الثورى أحب إلى إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل، ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إذا أطاقوا ذلك .

وقد صح عن النبى ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعليا ليلا فيقول لهما : «ألا تقومان فتصليان» (١) .

وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر . . . وورد الترغيب فى إيقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة ونضح الماء فى وجهه (٢) .

---

(١) البخارى (٣ / ١٠) التهجد : باب تحريض النبى ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب .

(٢) الحديث « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح فى وجهها الماء رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء » رواه أبو داود (٤ / ١٩١) فى الصلاة والنسائى (٣ / ٢٠٥) فى قيام اليل ، وابن ماجة وصححه الحاكم والذهبى والنووى وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط وإسناده حسن .

كانت امرأة حبيب أبى محمد تقول له بالليل : قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد، وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا :

يانائم الليل كم ترقد ... قم ياحبيبى قد دنا الموعد

وخذ من الليل وأوقاته ... وردا إذا ما هجع الرقد

من نام حتى ينقضى ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد

قل لذوى الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعد

ومنها أن النبى ﷺ كان يشد المئزر :

واختلفوا فى تفسيره فمنهم من قال : هو كناية عن شدة جده واجتهاده فى العبادة، كما يقال: فلان يشد وسطه ويسعى فى كذا وهذا فيه نظر فإنها قالت: جد وشد المئزر، فعطفت شد المئزر على جده .

والصحيح أن المراد اعتزاله النساء وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون، منهم سفيان الثورى ، وقد ورد ذلك صريحا من حديث عائشة وأنس، وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان، وفى حديث أنس : وطوى فراشه واعتزل النساء وقد كان النبى ﷺ غالبا يعتكف العشر الأواخر، والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع، وقد قالت طائفة من السلف فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٧] إنه طلب ليلة القدر والمعنى فى ذلك أن الله تعالى لما أباح مباشرة النساء فى ليالى الصيام إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر لئلا يشتغل المسلمون فى طول ليالى الشهر بالاستمتاع المباح، خصوصا فى الليالى المرجو فيها ليلة القدر، فمن هنا كان النبى ﷺ يصيب من أهله فى العشرين من رمضان ثم

يعتزل نساءه ويتفرغ لطلب ليلة القدر فى العشر الأواخر .

ومنها : تأخيره الفطور إلى السحور :

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال « نهى رسول الله ﷺ عن الوصال فى الصوم فقال له رجل من المسلمين : إنك تواصل يارسول الله . فقال : « وأيكم مثلي إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» . فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال : « لو تأخر لزدتكم »[1] ،

---

(١) الموطأ (١٢٩) فى الصيام : باب النهى عن الوصال والبخارى (٤ / ٢٠٢) فى الصوم : باب الوصال . ومسلم (٧ / ٢١٢) الصيام : باب النهى عن الوصال وقال الخطابى فى قوله ﷺ : « إني أبيت عند ربى يطعمني ويسقينى » قال : يحتمل معنيين أحدهما : إني أعان على الصيام، فيكون ذلك بمنزلة الطعام والشراب لكم، ويحتمل ان يكون قد يؤتى بطعام وشراب يطعمهما فيكون ذلك كرامة له لايشركه فيها احد من الصحابة . وقال ابن القيم : لأنه ﷺ كان أعرفهم بربه واتقاهم له وأشدهم حُبّاً له واوثقهم اتصالا به والمعروف ان الحبيب يشغل بحبيبه عن نفسه .

كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا فهذا يدل على أنه واصل بالناس فى آخر الشهر .

قال أحمد وإسحاق : لايكره الوصال إلى السحر. وفى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « **لاتواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلي السحر** ». قالوا : فإنك تواصل يارسول الله ؟ قال : « **إني لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني**» (١)

واختلف فى معنى إطعامه فقيل : إنه كان

---

(١) البخارى (٤ / ٢٠٨) الصوم: باب الوصال إلى السحر. قال البغوى : الوصال فى الصوم من خصائص ما أبيح لرسول الله ﷺ وهو أن يصوم يومين لايطعم بالليل شيئا، وهو محظور على الأمة عند عامة أهل العلم، فإن طعم شيئا وإن قل خرج عن الكراهية، وفى الحديث مشروعية الوصال إلى السحر، وهو قول أحمد وطائفة من أصحاب الحديث . وقال بعض الشافعية : إنه ليس بوصال حقيقة .

يؤتى بطعام من الجنة يأكله وفى هذا نظر فإنه لو كان كذلك لم يكن مواصلا، وقد أقرهم على قولهم له إنك تواصل، والصحيح أنه إشارة إلى ما كان الله يفتحه عليه فى صيامه وخلوته بربه لمناجاته وذكره من موارد أنسه ونفحات قدسه، فكان يرد فى ذلك على قلبه من المعارف الإلهية والمنح الربانية وما يغذيه ويغنيه عن الطعام والشراب .

الذكر قوت قلوب العارفين يغنيهم عن الطعام والشراب . كما قيل :

أنت أبيّ إذا ظمئت إلى الماء وقوتى إذا أردت الطعام [1]

لما جاع المجتهدون شبعوا من طعام المناجاة، فأف لمن باع لذة المناجة بفضل لقمة، ويتأكد تأخير

---

(١) وقيل كذلك :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد

الفطر فى الليالى التى ترجى فيها ليلة القدر .

ومنها : إغتساله بين العشائين :

وقال ابن جرير:

كانوا يحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالى العشر الأواخر. وكان النخعى يغتسل فى العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويطيب فى الليالى التى تكون أرجى لليلة القدر .

وقال حماد بن سلمة:

كان ثابت البنانى وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنضوح والدخنة فى الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر .

وقال ثابت:

كان لتميم الدارى حلة اشتراها بألف درهم،

وكان يلبسها فى الليالى التى ترجى فيها ليلة القدر .

فتبين بهذا أنه يستحب فى الليالى التى ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك فى الجمع والأعياد .

ومنها : الاعتكاف[1] .

ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها :

«أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من

---

(١) قال الحافظ فى الفتح : الاعتكاف لغة : لزوم الشيء وحبس النفس عليه ، وشرعا : المقام فى المسجد من شخص مخصوص ، على صفة مخصوصة ، وليس بواجب إجماعا إلا على من نذره ، وكذا من شرع فيه فقطعه عامدا عند قوم ، واختلف فى اشتراط الصوم له وقال ابن العربى بأنه سنة مؤكدة ، وكذا قال ابن بطال . وفى مواظبة النبى ﷺ عليه ما يدل على تأكده وقال أبو داود عن أحمد : لا أعلم عن أحد من العلماء خلافا أنه مسنون .

رمضان حتى توفاه الله تعالي » [٢]

وإنما كان يعتكف النبى ﷺ فى هذه العشر التى كان يطلب فيها ليلة القدر قطعا لأشغاله وتفريغا لباله، وتخليا لمناجاة ربه وذكره ودعائه ، وكان يحتجر حصيرا يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم [٢] .

ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف

---

(١) البخارى (٤ / ٢٧١) الاعتكاف فى العشر الاواخر . ومسلم (٨ / ٦٦ / ٦٧) الاعتكاف .

(٢) روى عن عائشة قالت : كان ﷺ يعود المريض وهو معتكف، فيمر كما هو فلا يعرج يسأل عنه والحديث رواه ابو داود فى الصوم وفى سنده ليث بن ابى سليم وهو ضعيف . وهو قول عطاء ومجاهد وبه قال الاوزاعى والثورى وابن المبارك ومالك والشافعى واحمد وإسحق وأبو ثور واصحاب الراي. فإن شرط فى اعتكافه الخروج لشيء منها جاز له أن يخرج عند بعضهم وبه قال الثورى وابن المبارك والشافعي وإسحق ، وذهب قوم إلى انه لايكون فى الاعتكاف شرط ، وبه قال مالك .

لايستحب له مخالطة الناس، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلى بمناجاة ربه وذكره ودعائه .

وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية [1] .

وإنما يكون فى المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهى عنها .

فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع على نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقى له سوى الله وما يرضيه عنه كما كان داود الطائى

(١) قال البغوى رحمه الله : إذا أراد اعتكاف العشر الاواخر من شهر رمضان، يدخل قبل غروب الشمس يوم العشرين، وهو قول مالك والثورى والشافعي وأصحاب الرأى وعن مالك أنه رأي أهل الفضل إذا اعتكفوا العشر الاواخر من رمضان لايرجعون إلى أهليهم حتى يشهدوا العيد مع الناس . . قلت : لعل ذلك على سبيل الاستحباب .

يقول فى ليله : همك عطل على الهموم، وخالف بينى وبين السهاد، وشوقى إلى النظر إليك ، أوثق منِّى اللذات، وحال بينى وبين الشهوات .

فمعنى الاعتكاف وحقيقته : قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق ، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والاستجابة أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال .

كان بعضهم لايزال متفردا فى بيته خاليا بربه فقيل له :أما تستوحش قال :كيف أستوحش وهو يقول :« أنا جليس من ذكرنى »[1] .

---

(١) أخرجه البخارى تعليقا بلفظ : « أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه » ورواه مسندا أحمد (٢ / ٥٤٠) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث حسن صحيح – شرح السنة (٥ / ١٣) وقال ابن بطال : معنى الحديث أنا مع عبدى زمان ذكره لى . أي أنا معه بالحفظ والكلاءة لا أنه معه بذاته حيث حل العبد .

ليلة القدر:

ياليلة القدر للناس اشهدى، ويا أقدام القانتين اركعى لربك واسجدى ويا ألسنة السائلين جدى فى المسألة واجتهدى .

يارجال الليل جدوا ... رب داع لا يـــرد
ما يقوم الليـــل إلا ... من له عزم وجـــد

ليلة القـــدر عند المحـــبين ليلة الحَظْوَةِ بأنس مولاهم وقربه، وإنما يفرون من ليالى البعد والهجر .

واختلف فى ليلة القدر [1] والحكمة فى نزول

---

(١) قال النووى : وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة، من الاقدار والارزاق والآجال التى تكون فى تلك السنة، كقوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ وقيل : سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها .

الملائكة فى هذه الليلة : أن الملوك والسادات لايحبون أن يدخل دارهم أحد، حتى يزينوا دارهم بالفرش والبسط، ويزينوا عبيدهم بالثياب والأسلحة، لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة فى ليالى رمضان، ومساجدهم بالقناديل والمصابيح فيقول الرب تعالى : أنتم طعنتم فى بنى آدم وقلتم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة :٣٠] . فقلت لكم : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٣٠] . اذهبوا إليهم فى هذه الليلة، حتى تروهم قائمين ساجدين راكعين، لتعلموا أنى اخترتهم على علم على العالمين.

قال مالك:

بلغنى أن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لايبلغوا من العمل الذى بلغه غيرهم فى طول

العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر .

وقال النخعى :

العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر .

وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : **« من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »** (١) .

إخوانى : المعول على القبول لا على الاجتهاد، والاعتبار ببر القلوب لابعمل الأبدان « رب قائم حظه من قيامه السهر » (٢) كم من قائم محروم ، وكم من نائم مرحوم، هذا نام وقلبه ذاكر،وهذا قام وقلبه فاجر .

---

(١) البخارى (٤ / ٢٥٥) فضل ليلة القدر . ومسلم (٦ / ٤٠ ، ٤١) صلاة المسافرين : الترغيب فى صلاة التراويح . .

(٢) تقدم تخريجه .

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت النائم بالقائم

ولكن العبد مأمور بالسعى فى اكتساب الخيرات، والاجتهاد فى الأعمال الصالحات، وكلٌّ ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥] .فالمبادرة إلى اغتنام العمل فيما بقى من الشهر ، فعسى أن يستدرك به ما فات من ضياع العمر .

المجلس الخامس: في ذكر السبع الأواخر من رمضان

في الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رجالا من أصحاب النبى ﷺ رأروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر. فقال رسول الله ﷺ: **«أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر»** (١).

وفى «صحيح مسلم» عنه عن النبى ﷺ قال: **«التمسوها فى العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقى»** (٢).

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة، وكان يأمر بالتماسها فى أوتار العشر الأواخر من رمضان. ففى

---

(١) البخارى (٤/٢٥٦) فضل ليلة القدر: باب التماس ليلة القدر فى السبع الأواخر. ومسلم (٨/٥٩) فضل ليلة القدر والحث على طلبها.

(٢) مسلم (٨/٥٩) فضل ليلة القدر والحث على طلبها.

صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى** »[1] .

وهذا مما يستدل به من رجح ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين علي ليلة إحدي وعشرين ، فإن ليلة إحدي وعشرين ليست من السبع الأواخر بلا تردد .

وقد روى عن النبى ﷺ من وجوه أُخَر أنه بين أنها ليلة سبع وعشرين كما سيأتى إن شاء الله تعالى

واختلف فى أول السبع الآواخر فمنهم من قال : أول السبع ليلة ثلاث وعشرين على حساب

---

(١) البخارى (٤ / ٢٦٠) فضل ليلة القدر : تحري ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر ..

نقصان الشهر دون تمامه لأنه المتيقن، وروى هذا عن ابن عباس وفى صحيح البخارى عن بلال قال : إنها أول السبع من العشر الأواخر .

وقد روى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أنه أنكر أن تحسب ليلة القدر بما مضى من الشهر وأخبر أن الصحابة يحسبونها بما بقى منه، وهذا الاحتمال إنما يكون فى مثل قول النبى ﷺ :

« التمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » [1] .

وقد أخرجه البخارى من حديث عبادة رضى الله عنه .

---

(١) الحديث عن عبادة بن الصامت قال : خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة- البخارى (٤ / ٢٦٧) فضل ليلة القدر : باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس .

وقد اختلف الناس فى ليلة القدر اختلافا كثيرا

فحكى عن بعضهم أنها رفعت وحديث أبى ذر يرد ذلك .

وروى عن محمد بن الحنفية : أنها فى كل سبع سنين مرة، وفى إسناده ضعف، وقال الجمهور : فى رمضان كل سنة، ثم منهم من قال : هى فى الشهر كله، وحكى عن بعض المتقدمين أنها أول ليلة منه، وقال الجمهور هى منحصرة فى العشر الأواخر، واختلفوا فى أى ليال العشر أرجى ، فحكى عن الحسن ومالك أنها تطلب فى جميع ليالى العشر أشفاعه وأوتاره .

وقال الأكثرون : بل بعض لياليه أرجى من بعض، وقالوا: الأوتار أرجى فى الجملة، ثم اختلفوا فى أي أوتاره أرجى [1] .

(١) قال الحافظ : وأرجح الأقوال أنها فى أوتار العشر الأخير، وعليه يدل حديث عائشة وغيرها، وهو قول ابى ثور والمزنى وابن خزيمة.

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال : يارسول الله إنى شيخ كبير عليل يشق على القيام فأمرنى بليلة يوفقنى الله فيها لليلة القدر قال : « **عليك بالسابعة** »(١) وإسناده على شرط البخارى .

وإذا حسبنا أول السبع الأواخر ليلة أربع وعشرين، كانت ليلة سبع وعشرين نصف السبع، وقد استنبط طائفة من المتأخرين من القرآن أنها ليلة سبع وعشرين من موضعين :

أحدهما : أن الله تعالى كرر ذكر ليلة القدر فى سورة القدر، فى ثلاث مواضع منها، وليلة القدر حروفها تسع، والتسع إذا ضربت فى ثلاثة

---

(١) رواه أحمد (١ / ٢٤٠) وأبو نعيم (٩ / ٢٣٠) فى حلية الأولياء وقال : الهيثمى فى المجمع : رجاله رجال الصحيح (٣ / ١٧٦) .

فهى سبع وعشرون .

والثانى : أنه قال : ﴿ سَلَامٌ هِيَ ﴾ [القدر :٥] فكلمة : « هى » الكلمة السابعة والعشرون من السورة، فإن كلماتها كلها ثلاثون. قال ابن عطية : هذا من ملح التفسير لا من متين العلم، وهو كما قال : واعلم أن جميع هذه العلامات لاتوجب القطع بليلة القدر .

وأما العمل فى ليلة القدر فثبت عن النبى ﷺ أنه قال : **« من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه »** [١] . وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة، وقد أمر عائشة بالدعاء فيها أيضا .

---

(١) رواه البخارى (٤ / ٢٥٥) ومسلم (٦ / ٤٠ ، ٤١) والترمذي والنسائي عن أبي هريرة .

قال سفيان الثورى:

الدعاء فى تلك الليلة أحب إلى من الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله فى الدعاء والمسألة لعله يوافق. انتهى ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التى يكثر فيها الدعاء وإن قرأ ودعا كان حسنا.

وقد كان النبى ﷺ يتهجد فى ليالى رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة لايمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا وتعوذ فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكير، وهذا أفضل الأعمال وأكملها فى ليالى العشر وغيرها والله أعلم، وقد قال الشعبى ليلة القدر: ليلها كنهارها. وقال الشافعى فى القديم: أستحب أن يكون إجتهاده فى نهارها، كاجتهاده فى ليلها، وهذا يقتضى استحباب

الاجتهاد فى جميع زمان العشر الأواخر ليله ونهاره والله أعلم. والمحبون تطول عليهم الليالى فيعدونها عدا لانتظار ليالى العشر فى كل عام، فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم وخدموا محبوبهم .

قالت عائشة رضى الله عنها للنبى ﷺ : أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال: قولى « **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى**[1] »

والعفو من أسماء الله تعالى ، وهو المتجاوز عن سيئات عباده، الماحى لآثارها عنهم، وهو يحب العفو فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض ، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته ،

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٦٠ ناصر) جامع الدعوات ، وابن ماجه (٣٨٥٠) الأدب ، وصححه الالبانى .

وكان النبى ﷺ يقول : « **أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك** » [1] .

وإنما أمر بسؤال العفو فى ليلة القدر بعد الاجتهاد فى الأعمال فيها وفى ليالى العشر، لأن العارفين يجتهدون فى الأعمال، ثم لايرون لأنفسهم عملا صالحا ولا حالا ولا مقالا، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنبين المقصرين .

قال يحيى بن معاذ : ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو .

إن كنت لا أصلح للقرب فشأنكم العفو عن الذنب

كان مطرف يقول فى دعائه : اللهم ارض عنا ، فإن لم ترض عنا فاعف عنا .

---

(١) رواه أبو داود (٨٢٣ صحيح) وابن ماجه (٣٨٤١) الأدب وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١ / ٤٠٥) .

المجلس السادس في وداع رمضان

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه** »[1] .

والجمهور على أن ذلك إنما يكفر الصغائر .

ويدل عليه ما خرجه مسلم من حديث أبى

---

(١) البخارى (٤ / ١١٥) الصوم : باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية، ومسلم (٦ / ٤٠ ، ٤١) فى صلاة المسافرين : باب الترغيب فى قيام رمضان هو التراويح. قال الخطابى : « إيمانا واحتسابا » أي نية وعزيمة وهو أن يصومه على التصديق به والرغبة فى ثوابه طيبة نفسه غير كاره له، ولا مستثقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه، لكن يغتنم طول إيامه لعظم الثواب وقال البغوى : احتسابا: أى طلبا لوجه الله سبحانه وتعالى وثوابه .

هريرة عن النبى ﷺ قال :« **الصلوات الخمس ، والجمعة إلي الجمعة، ورمضان إلي رمضان، مكفرات لما بينهن ، ما اجتنبت الكبائر** »[1] .

وفى تأويله قولان :

أحدهما : أن تكفير هذه الأعمال مشروط باجتناب الكبائر، فمن لم يجتنب الكبائر، لم تكفر له هذه الأعمال كبيرة ولا صغيرة .

الثانى : أن المراد أن هذه الفرائض تكفر الصغائر خاصة بكل حال، وسواء اجتنبت الكبائر أو لم تجتنب، وأنها لاتكفر الكبائر بحال ، والجمهور على أن الكبائر لابد لها من توبة نصوح .

---

(١) رواه مسلم (٣ / ١١٧) الطهارة، والترمذي (٢ / ١٤ ، ١٥ عارضة) الصلاة . .

قال مورق العجلى لبعض إخوانه فى المصلى يوم الفطر : يرجع هذا اليوم قوم كما ولدتهم أمهاتهم .

إذا كمل الصائمون صيام رمضان وقيامه فقد وفوا ما عليهم من العمل وبقى ما لهم من الأجر وهو المغفرة فإذا خرجوا يوم عيد الفطر إلى الصلاة قسمت عليهم أجورهم، فرجعوا إلى منازلهم وقد استوفوا الأجور واستكملوها. قال سلمان : الصلاة مكيال فمن وفي وفى له، ومن طفف فقد علمتم ما قيل فى المطففين .

فالصيام وسائر الأعمال على هذا المنوال من وفاها فهو من خيار عباد الله المؤمنين ، ومن طفف فيها فويل للمطففين، أما يستحى من يستوفى مكيال شهواته، ويطفف فى مكيال صيامه وصلاته،

ألا بعدا لمدين، وفى الحديث : « **أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته** »[1] . إذا كان الويل لمن طفف مكيال الدنيا فكيف حال من طفف مكيال الدين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾[الماعون:٤] .

غدا توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا فقد أحسنوا لانفسهم وإن أساءوا فبئس ماصنعوا

كان السلف الصالح يجتهدون فى إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ، ويخافون من رده وهؤلاء الذين ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

---

(١) رواه أحمد (٥ / ٣١٠)، والحاكم (١ / ٢٢٩) الصلاة عن أبى قتادة عن أبيه وقال : صحيح على شرط الشيخين وعن أبى هريرة وقال : كلا الإسنادين صحيحان ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وصححه الالبانى .

قال بعض السلف:

كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

روى عن على رضى الله عنه أنه كان ينادى فى آخر ليلة من شهر رمضان: ياليت شعرى من هذا المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه.

ماذا فات من فاته خير رمضان؟ وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان؟ كم بين من حظه فيه القبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران، رب قائم حظه من قيامه السهر، وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش.

شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران:

فمن أسباب المغفرة فيه: صيامه وقيام ليلة القدر فيه كما سبق.

ومنها تفطير الصوام والتخفيف عن المملوك .

ومنها : الذكر .

ومنها الاستغفار وهو طلب المغفرة ودعاء الصائم مستجاب فى صيامه وعند فطره، ولهذا كان ابن عمر إذا أفطر يقول : « اللهم ياواسع المغفرة اغفر لى »[1] .

ومنها : استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا .

شهر رمضان شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار. وفى الحديث الصحيح : « **أنه تفتح فيه أبواب الرحمة** »[2] وفى الترمذى وغيره

---

(١) ما ورد عن النبى ﷺ عند الإفطار : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله » رواه أبو داود والنسائى والحاكم وحسنه الألبانى .

(٢) تقدم تخريجه .

« إن لله عتقاء من النار وذلك كل ليلة »[1] ولكن الأغلب على أوله الرحمة وهى للمحسنين المتقين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف :٥٦] . وقال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] فيفاض على المتقين فى أول الشهر خلع الرحمة والرضوان، ويعامل أهل الإحسان بالفضل والإحسان، وأما أوسط الشهر فالأغلب عليه المغفرة فيغفر فيه للصائمين وإن ارتكبوا بعض الذنوب والصغائر ، فلا يمنعهم من المغفرة كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد : ٦] وأما آخر الشهر فيعتق فيه من النار من أوبقته الأوزار، واستوجب النار بالذنوب الكبار .

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٢٥٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢١٦٥)

لما كانت المغفرة والعتق كل منهما مرتبا على صيام رمضان وقيامه، أمر الله سبحانه وتعالى عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة :١٨٥] فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام وإعانتهم عليه ومغفرته لهم به وعتقهم من النار، أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته، وقد فسر رضى الله عنه تقواه حق تقاته بأن يطاع فلايعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر، فيا أرباب الذنوب العظيمة الغنيمة، فى هذه الأيام الكريمة، فما منها عوض ولا لها قيمة، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة والمنحة الجسيمة، يامن أعتقه مولاه من النار إياك أن تعود بعد أن صرت حرا إلى رق الأوزار، أيبعدك مولاك من النار وأنت تقترب منها، وينقذك منها وأنت توقع

نفسك فيها ولاتحيد عنها .

أين من كان إذا صام صان الصيام، وإذا قام إستقام فى القيام، أحسنوا الإسلام ثم رحلوا بسلام، وما بقى إلا من إذا صام افتخر بصيامه وصال، وإذا قام أعجب بقيامه وقال .

عباد الله إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل، ولم يبق منه إلا اليسير، فمن كان منكم أحسن فيه فعليه بالتمام، ومن كان فرط فيختمه بالحسنى فالعمل بالختام، فاستغنموا منه ما بقى من الليالى اليسيرة والأيام، واستودعوه عملا صالحا يشهد لكم به عند الملك العلام، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام .

أين حرق المجتهدين فى نهاره ، أين قلق المجتهدين فى أسحاره، إذا كان هذا من ربح فيه

فكيف حال من خسر فى أيامه ولياليه، ماذا ينفع المفرط فيه بكاؤه ، وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه ، كم نصح المسكين فيه فما قبل النصح، كم دعى إلى المصالحة فما أجاب إلى الصلح، كما شاهد الواصلين فيه وهو متباعد ، كم مرت به زمر السائرين وهو قاعد، حتى إذا ضاق به الوقت ، وحاق به المقت ، ندم على التفريط حين لاينفع الندم، وطلب الاستدراك فى وقت العدم .

أتترك من تحب وأنت جار وتطلبهم وقد بعد المزار
وتبكى بعد نايهم اشتياقا وتسأل فى المنازل أين ساروا
تركت سؤالهم وهم حضور وترجو أن تخبرك الديار
فنفسك لم ولا تلم المطايا ومت كمدا فليس لك اعتذار

ياشهر رمضان ترفق ، دموع المحبين تدفق، قلوبهم من ألم الفراق تشقق، عسى وقفة للوداع تطفيء من نار الشوق ما أحرق ، عسى ساعة توبة وإقلاع ترفو من الصيام ماتخرق ، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق ، عسى أسير الأوزار يطلق ، عسى من استوجب النار يعتق .

عسى وعسى من قبل وقت التفرق

إلى كل ما ترجو من الخير تلتقي

فيجبر مكسور ويقبل تائب

ويعتق خطاء ويسعد من شقى

والله أسال أن يجعل القصد خالصا لوجهه الكريم، وعونا على طاعة السميع العليم، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

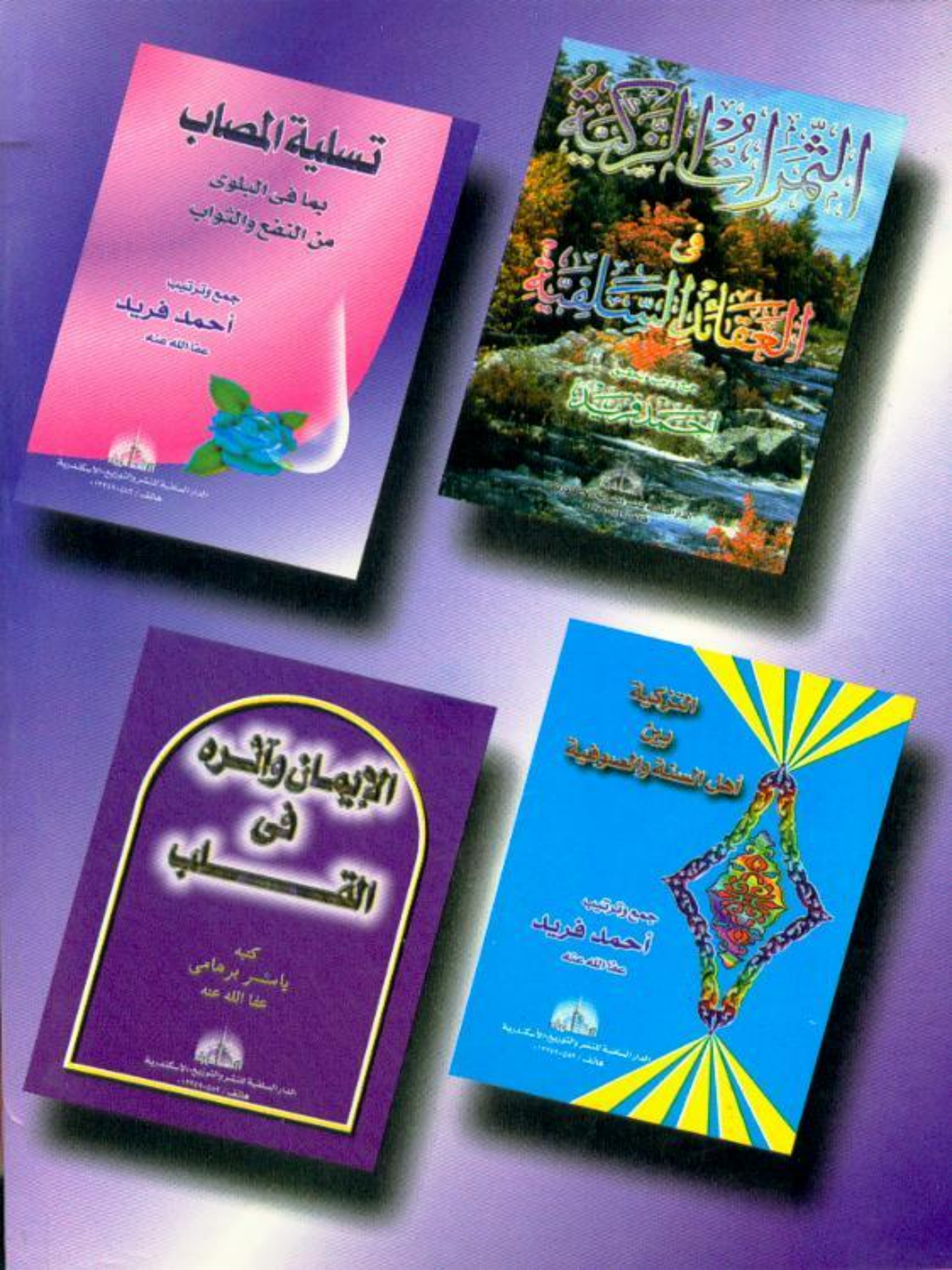
تسلية المصاب
بما فى البلوى
من النفع والثواب
جمع وترتيب
أحمد فريد
عفا الله عنه
الثمرات الزكية
فى
العقائد السلفية
أحمد فريد
التزكية
بين
أهل السنة والصوفية
جمع وترتيب
أحمد فريد
عفا الله عنه
الإيمان وأثره
فى
القلب
كتبه
ياسر برهامى
عفا الله عنه